الإحسان في المعاملة

ونحن في معرض المعاملة بين الناس، نحب أن نقف على الفرق الدقيق بين العدل في التعامل مع الناس، والإحسان في هذا التعامل، وقد أمر الله تعالى بالاثنين فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الله تعالى أكثر من الأمر بالعدل، كما أكثر من الأمر بالإحسان، ففي العدل قال: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾.

وفي الإحسان قال: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وقال سبحانه ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقال: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾، وقال ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾، وأمر بهما معاً في الآية الكريمة التي أوردتها فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾. فما الفرق بينهما؟ العدل إعطاء الحق وأخذ الحق بغير زيادة ولا نقصان، وهو يمثل الواجب والمفروض على كل إنسان يتعامل مع الناس، وهو سبب النجاة، والحد الأدنى مما يطلب منا في المعاملة، أما الإحسان فهو أن تتجاوز فتعطي أكثر مما يجب عليك، وتأخذ أقل مما لك، وهو سبب الفوز ونيل السعادة.

فالإحسان هو أن تفعل ما يستفيد منه من يتعامل معك فوق حقه الذي له، والذي لا يجب له غيره، فتتفضل عليه وتحسن إليه وتعطيه فوق حقه أو تأخذ منه دون حقك الذي لك عنده.

فكيف نصل إلى رتبة الإحسان؟

إن رتبة الإحسان والتي هي كما قلنا فوق العدل الذي أوجبه الله تعالى علينا تنال بأمور منها:

١- في المساومة على السعر ينبغي أن لا يغبن المتعامل معه فيما لا يتغابن فيه في العادة، فإن عرض المشترى سعراً أعلى بسبب حاجته أو شدة رغبته، فعدم قبول البائع هذا السعر الأعلى نوع من الإحسان، وإذا اشترى من فقير شيئاً أو باعه شيئاً فإعطاؤه فوق الثمن في الحالة الأولى وأخذ ما دون الثمن في الحالة الثانية هو نوع من الإحسان. إذ العدل أن يأخذ الثمن تاماً، وأن يعطى الثمن تاماً، فالتجاوز زيادة أو نقصاً هنا نوع من الإحسان.

٢- في استيفاء الثمن وسائر الديون، الإحسان يتمثل مرة في المسامحة وحط البعض، ويتمثل مرة أخرى في الإمهال وتأخير المطالبة، وكل ذلك مطلوب من المسلم وقد حث عليه النبي ﷺ بقوله: **«رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَهْلَ الْبَيْعِ، سَهْلَ الشِّرَاءِ، سَهْلَ الْأَخْذِ، سَهْلَ الْإِعْطَاءِ، سَهْلَ الْقَضَاءِ، سَهْلَ الْاقْتِضَاءِ»** وبقوله ﷺ: **«من أنظر معسراً أو ترك له حاسبه الله حساباً يسيراً، وأظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»**، وقال أيضاً: **«خذ حقك في كفاف وعفاف وافٍ أو غير وافٍ يحاسبك الله حساباً يسيراً»** إذاً إنظار المعسر والتجاوز عنه هو الإحسان في ميدان استيفاء الديون.

٣- في الوفاء بالديون، يتمثل الإحسان هنا في حسن القضاء، والمسارعة إليه بقدر الإمكان، فإن استطاع أن يفي بما عليه قبل موعده، فليسارع إلى ذلك فهذا من الإحسان، ومنه أن يذهب هو إلى صاحب الحق، ولا يكلفه الحضور إليه، فهذا من حسن القضاء، وقال ﷺ: **«خَيْرِكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»**، وقال الله تعالى: ﴿فَٱتِّبَاعٌ

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ وإذا كان غير قادر على الوفاء فليعقد النية على القضاء عندما يستطيع ولا يهمل في ذلك، فقد قال ﷺ: **«من أدَّان ديناً وهو ينوى قضاءه، وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه»**.

٤- قبول إقالة المستقيل، فمن الإحسان أن يقيل المتعامل من يستقيله بالرجوع في الصفقة بائعاً كان أو مشترياً، فإنه لا يستقيل إلا نادم متضرر، ولا ينبغي لمن يريد أن يكون محسناً، أن يكون سبباً في ضرر أخيه قال ﷺ: **«من أقال نادماً صفقته، أقاله الله عثرته يوم القيامة»**. ومن ثم فليس هناك عند ممارس الإحسان مقولة: البضاعة المباعة لا ترد ولا تستبدل، فتلك مقولة لا علاقة لها بالإحسان من قريب أو بعيد.

٥- من الإحسان أيضاً أن يبيع من يعرف من الفقراء بالأجل، ويكون عازماً على أنهم إن لم يدفعوا عند حلول الأجل، لم يطالبهم بالثمن، فإذا دفعوا كان بها، وإن لم يدفعوا فقد كفاهم هم السؤال، وكان كمن أقرضهم قرضاً متجدداً ثوابه فوق ثواب الصدقة، قال ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ، فَأَنْظَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ**». وكل من باع شيئاً وترك ثمنه في الحال، ولم يرهق صاحبه في المطالبة، فهو في معنى المقرض.

وهناك حديث شريف يقول فيه النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**»، ومن ثم فحالات الإحسان لا تتناهى.

إن كل إنسان يستطيع أن يكون محسناً في أي مجال من مجالات الحياة، فالعامل الذي يعمل ساعة فوق الساعات المطلوبة منه يمارس الإحسان، والموظف الذي يرفق بالمترددين الذين يقضون حوائجهم لديه يمارس الإحسان، والذي لا يرفع حائطه فوق حائط جيرانه، يمارس الإحسان. إن كل فعل زائد عن العدل الواجب على

الإنسان، يدخل في دائرة الإحسان. وكل من يمارس الإحسان، في ميدان من ميادينه فهو مبشر من الله تعالى بحسن العاقبة، والنجاة يوم القيامة، فإن الله تعالى وعد بمجازاة من يمارس الإحسان بالإحسان، ومن يجازيه الله تعالى بالإحسان فقد فاز فوزاً عظيماً ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المحسنين في الأقوال والأفعال.

والله ولى التوفيق